أ- الحرمان الاقتصادي:-

فقد شاع الحرمان الاقتصادي في الاقطار التي كانت تضم الجبهة المعارضة له مثل المدينة المنورة، لأن فيها الكثير من الشخصيات المعارضة لبني أمية، فقد أجبرهم على بيع أملاكهم واشتراها منهم بثمن بخس، فقد ولى عليهم مروان ابن الحكم تارةً وسعيد بن العاص تارةً اخرى وكان يعزل الاول ويولي الثاني، وقد جهد الاثنان في إذلال أهل المدينة وإفقارهم وكذلك الكوفة، فقد فرض عقوبات اقتصادية عليها بصفتها المركز الرئيسي للمعارضة، وكان والي الكوفة المغيرة بن شعبة يحبس العطاء والأرزاق عنهم[1].

ولقد سار الحكام الأمويون بعد معاوية على هذا النهج في اضطهاد أهل الكوفة وحرمانهم باعتبارهم شيعة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع).

ب- استخدام المال لتثبيت ملكه:-

استخدم معاوية بيت المال لتثبيت ملكه وسلطانه واتخذ من المال سلاحاً يمكنه من التسلط على الأمة، فهو أداة فعالة للإرهاب وللتقريب، فحرم منه فئة من الناس وأغدق اضعافاً مضاعفة لطائفة اخرى ثمناً لضمائرهم وضماناً لصمتهم، فقد جعل مصر طعمة خاصة لعمرو بن العاص ما دام حياً يتصرف بها كيف يشاء.

ج- شراء الذمم:-

لقد فتح معاوية باباً جديداً في سياسته الاقتصادية وهي شراء الذمم، فقد اعلن وبكل وقاحة ((والله لأستميلن بالأموال ثقات علي، ولأُ قسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياني آخرته))[2].

د- ضريبة النيروز:-

وهي بدعة فرضها على المسلمين من غير دليل في الشريعة الاسلامية ليسد بها نفقاته فبالغ في إرهاق الناس واضطهادهم على ادائها، فبلغت عشرة ملايين درهم، وهي من الضرائب التي لم يألفها المسلمون، وقد اتخذها الحكام من بعده سُنة فأُرغموا المسلمين على ادائها[3].

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥، ص٨٠.

(٢) أبو يوسف الخراج ، ص١٠ ، ابن زنجوية ، الأموال ، ص٣٠.

(٣) عبد العزيز ، النظم الاسلامية ، ص٥٠ ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص٢٩.

ثانياً: سياسة التفرقة

بَنى معاوية سياسته على تفريق كلمة المسلمين إيماناً منه بأن الحكم لا يستقر إلا بإشاعة العداء بين أبناء الأمة الاسلامية، وشملت هذه السياسة ناحيتين:

أ- اضطهاد الموالي:-

وهم المسلمون من غير العرب الذين بالغ معاوية في اضطهادهم وإذلالهم، وقد رام أن يبيدهم إبادة شاملة، لذا بدا منهم المواقف العدائية للمسلمين عامةً، وكان السبب في ذلك يعود الى امتهانهم وارهاقهم بالضرائب وفرض الجزية والخراج عليهم[1].

ب- العصبية القبلية:-

أحيا معاوية العصبيات القبلية، وقد ظهرت في الشعر العربي صور مريعة ومؤلمة من ألوان الصراع التي كانت السلطة الأموية تختلقه لإشغال الناس عن التدخل في الشؤون السياسية، فقد عمد معاوية الى إثارة الأحقاد القديمة بين الأوس والخزرج محاولاً التقليل من أهميتهم وإسقاط مكانتهم، كما تعصب لليمنيين على المُضريين، وأشعل نار الفتنة فيما بينهم حتى لا تتحد كلمتهم فتضر مصالح الدولة، وقد تقمصت هذه العصبية القبلية شكلاً دينياً حينما أخذت القبائل تسعى الى اختراع الاحاديث في فضلها وتنسيبها الى النبي (ص)، فكم من أحاديث وضعت في فضل قريش والأنصار وأسلم وغفار والأشعريين والحميريين وجهينة ومزينة[2].

ثالثاً: سياسة البطش والجبروت

ساس معاوية الأمة الاسلامية بسياسة البطش والقمع، فاستهان بمقدراتها وكرامتها، فقد اعلن بعد الصلح انه قاتل المسلمين وسفك دمائهم كي يتآمر عليهم، وقال:

((نحن الزمان، من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع)).

وسار عماله وولاته على نفس منهجه هذا وحتى من جاء بعده من ولاة بني أمية، فقد جاء في خطاب لخالد القسري في أهل مكة: ((فإني والله ما أوتي لي بأحد يطعن على إمامه "يعني معاوية" إلا صلبته في الحرم))[3].

وقد نصّ المؤرخون على ان سياسة البطش والإرهاب بلغت حداً جعلت الرجل يفضل ان يقال عنه زنديق او كافر ولا يقال عنه انه من أتباع علي (ع)، وكان الناس يخافون من النطق باسم الامام

---

(١) شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية في القرن الأول ، ص٨ ، صالح العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص٧٨.

(٢) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٣-٣٤ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢٨٣-٢٨٦.

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦٠.

علي (ع) حتى فيما يتعلق بأحكام الدين التي لا ترجع الى الفضائل التي كان الأمويون يخشون شيوعها، فكانوا يقولون: ((روى ابو زينب))، وكتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة: ((أنْ برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب وأهل بيته، فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه، ويقعون فيه ومن اهل بيته))[١].

وكان أشد الناس بلاءً حينئذٍ اهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي (ع)، واستعمل عليهم زياد بن ابيه فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام خلافة علي بن ابي طالب (ع)، فقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم ونفاهم عن العراق. وكذلك فعل سمرة بن جندب في البصرة والمدينة بعدما اسرف إسرافاً لا حدود له[٢].

وأجمل ذلك الامام محمد الباقر عليه السلام بقوله: ((وقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقُطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكل من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سُجن او نُهبت امواله او هُدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد الى زمان عبيد اللع بن زياد اتل الحسين عليه السلام))[٣].

رابعاً: التخدير باسم الدين وشل الروح الثورية

كان الأمويون وما زالوا من أخطر اعداء النبي (ص)، وانهم اعتنقوا الاسلام في آخر ساعة مرغمين ثم سنحت لهم الفرصة بأن يحولوا لأنفسهم ثمرة حكم الدين فأصبحوا القائمين عليه، المغتصبين لسلطانه، فأعادوا الاسلام والمسلمين الى الجاهلية الأدنى، بهذه المشاعر ونظائرها واجه المسلمون الدولة الأموية، فأراد معاوية ان يتغلب على هذا الشعور العام بسلاح الدين نفسه، كما أراد التوصل لتحطيم ما لأعدائه من سلطان روحي على المسلمين عن هذه الطريق ايضاً، فد وضع جماعة من الصحابة وآخرين من التابعين روايات قبيحة في الامام علي (ع) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم جعلاً يُرغب في مثله ومن هؤلاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب، ومن التابعين عروة بن الزبير.

أ- ظاهرة وضع الحديث

لقد أوجد معاوية واصحابه التبرير الديني لسلطان بني أمية او لكبح الجماهير عن الثورة برادع داخلي هو الدين نفسه، فافتعلوا الاحاديث المختلفة التي تتضمن الطعن في علي (ع) واهل بيته ونسبتها الى النبي (ص) مقابل الإكثار من فضائل كل من خالف الامام علي (ع) من الصحابة.

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج٢ ، ص١٠ ، المسعودي ، مروج ، ج٢ ، ص٢٩٦.

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ، ص١٥٠ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص١٨٠.

(٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص٢١٠.

وكان معاوية يبعث بالصلات والكساء والحباء والقطائع لكل من لفق حديثاً بهذا الشأن، فكثر المتنافسون على الدنيا، فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ورويت من على المنابر والكتاتيب وحلقات الدرس والمواعظ ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان اعظم الناس من ذلك بلية القُراء المراؤون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الاحاديث فيحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم. فقد ذكر ابن ابي الحديد: ((فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسين بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة))[١].

لذلك قال ابن عرفة المعروف بـ "نفطويه" – وهو من اكابر المحدثين واعلامهم – : ((ان اكثر الاحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة أُفتُعِلَتْ في ايام بني أمية تقرباً اليهم بما يظنون انهم يرغمون به أُنوف بني هاشم))[٢].

ووضعت الاحاديث التي تحذر المسلمين من الثورة ضد الظلم والظالمين والرضوخ لهم. فقد رُويَ عن عبد الله بن عمر انه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها، قالوا، فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا اليهم حقهم، وسلوا الله حقكم))[٣].

وقال مرة اخرى: ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإن من فارق الجماعة شبراً فما مات إلا ميتةً جاهلية))[٤].

وقال ايضاً: ((ستكون هنات وهنات، فمن أراد ان يفرق أمر هذه الأمة وهي جمع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)).

وهناك لون آخر في التضليل الديني استخدمه الأمويون لتثبيت ملكهم وبرعوا في استخدامه وهو تأسيس الفرق الدينية السياسية التي تقدم للجماهير تفسيرات دينية تعزز من سلطة الأمويين وتخدمها وتبرر اعمالها.

ب- تأسيس فرق باسم الدين

من هذه الفرق "فرقة المرجئة" التي اعتبرت الايمان عملاً قلبياً خالصاً لا يحتاج الى التعبير بفعل من الافعال، فيكفي الانسان ان يكون مؤمناً بقلبه ليعصمه الاسلام ويحرم الاعتداء عليه، فهم يعلنون: "لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة" و "ان الايمان الاعتقاد بالقلب

---

(١) ينظر : البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص٣٩ ، مسلم ، صحيح مسلم ، ج٧ ، ص١٣٣.

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص٤٢.

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص٤٣.

(٤) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٤٣.

وان اعلن الكفر بلسانه وعبد الأوثان ولزم اليهودية والنصرانية ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان من اهل الجنة"[١].

والنتيجة ان الأمويون مؤمنون مهما ارتكبوا من الكبائر، وان حكومتهم الجائرة حكومة شرعية لا يجوز الخروج عليها.

وقبالة هذه الفرقة نشأت فرقة اخرى اخذت ابعاداً كثيرة هي "فرقة القدرية" القائلين بحرية الإرادة والإختيار، وان الانسان هو الذي يختار نوع السلوك والعمل الذي يمارسه في حياته، فشكلت هذه الفرقة خطراً كبيراً على الأمويين الذين كانوا يخافون من رقابة الأمة عليهم وعلى تصرفاتهم، لذلك اضطهدوا اصحاب هذه العقيدة وناصروا العقيدة المضادة لهم "عقيدة الجبر" التي كانت تلائمهم في الميدان السياسي لأنها توحي الى الناس بأن وجود الأمويين وتصرفاتهم مهما كانت شاذة وظالمة ليست سوى قدر مرسوم من الله ولا يمكن تغييره او تبديله، فلا جدوى اخرى من الثورة عليهم[٢].

لذلك كان معاوية بن ابي سفيان يتظاهر بالجبر والارجاء لأجل تبرير أفعاله أمام الملأ لأنها مقدرة لا سبيل الى تبديلها، في الوقت نفسه فهي غير قادحة فيه باعتباره حاكماً دينياً.

يقول الدكتور أحمد أمين: "بنو أمية – كما يظهر – كانوا يكرهون القول بحرية الارادة لا دينياً فقط ولكن سياسياً كذلك، لأن الجبر يخدم سياستهم، فالنتيجة للجبر ان الله الذي يُسيِّر الأمور قد فرض على الناس بني أمية كما فرض كل شيء، ودولتهم بقضاء الله وقدره، فيجب الخضوع للقضاء والقدر"[٣].

كان هذا الخداع والتخدير الديني أحد أركان السياسة الأموية الذي تكفل بإيجاد تبرير ديني للوضع الاجتماعي الشاذ الذي كان عليه المجتمع الاسلامي، أُريدَ منه حمل الجماهير المسلمة على السكوت عن النقد والقعود عن محاولة اي تغيير الى وضع مستوٍ احسن وبذلك يختفي الشعور بالإثم من ضمير الناس، هذا الشعور الذي يدفع الى الثورة حين يبلغ درجة ضغط عالية، وعندما يضمحل الشعور بالإثم يستقر المجتمع نهائياً.

---

(١) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص٨٨٢.

(٢) الشهرستاني ، الفصل في الملل والنحل ، ص٨٤.

(٣) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج٢ ، ص١١.

خامساً: إظهار الحقد على النبي (ص) والعداء لأهل بيته (ع)

مكث معاوية إبان خلافته أربعين جمعة لا يصلي على النبي (ص)، وحينما سُئِلَ عن ذلك قال: ((لا يمنعني عن ذكره إلا أنْ تشمخ رجال بأنافها))[1]، وسَمِعَ المؤذن يوماً يقول: "أشهد ان محمداً رسولُ الله" فاندفع قائلاً: "لله ابوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالي الهمة ما رضيت لنفسك إلا ان يُقرَنَ اسمك باسم رب العالمين".[2]

لذا سخر جميع اجهزته للحط من قيمة اهل البيت واستخدم اخطر الوسائل في محاربتهم واقصائهم عن واقع الحياة الاسلامية، وكان من بين ما استخدمه في ذلك:-

١- تسخير الوعّاظ والقصاصين ليحولوا القلوب عن اهل البيت عليهم السلام.

٢- افتعال الاخبار والاحاديث الكاذبة على لسان النبي (ص) للحط من قيمة اهل البيت (ع)، فاختُلِقَتْ مئات الأحاديث لذلك.

٣- استخدام سب أمير المؤمنين (ع) واهل بيته على منابر المسلمين وفي نواديه العامة والخاصة، واوعز لعماله وولاته ألا يذيعوا اي فضيلة من فضائلهم، فسرى سب الامام في جميع انحاء العالم الاسلامي آنذاك.

سادساً: فرض ولاية العهد

كانت الخلافة ايام الخلفاء ابي بكر وعمر وعثمان ذات مسحة اسلامية وكانوا يحكمون تحت شعار خلافة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لكن معاوية بعد توليه السلطة لم يجترئ على تحدي الرسول (ص) ورسالته بشكل علني وصريح في بداية حكمه، إذ كان يستغل المظاهر الاسلامية لإحكام القبضة وتحقيق المزيد من السيطرة على المسلمين، لذلك وُصِفَ معاوية بالدهاء لأنه كان يلبس باطله لباساً إسلامياً، فبعد استشهاد الامام الحسن المجتبى عليه السلام سنة (٥٠هـ) عمد الى ابتكار ولاية العهد وهو على قيد الحياة وبمشورة وتحريض من المغيرة بن شعبة الذي عزله معاوية عن ولاية الكوفة وأبدله بسعيد بن العاص الأموي من أجل أن يبقى بمنصبه كوالٍ، الذي حاز عليه مرة اخرى بعد اقتناع معاوية بفكرة ولاية العهد لابنه يزيد وتعهد المغيرة من أخذ البيعة من أهل الكوفة، ولقد قال المغيرة عن ذلك: ((لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد وفتقت عليهم فتقاً لا يُرتَقْ أبداً)).

فلم يسبقه في هذه الخطوة سابق وتبعه كل من جاء بعدهه من لاحق، فَعُدَّ ذلك هتكاً صريحاً للقيم الاسلامية واستهتاراً واضحاً لعرف المسلمين لما عُرِفَ ان الخلافة الاسلامية ليست

---

(١) الطوسي ، الامالي ، ص١٦٤ ؛ جعفر السبحاني ، السيرة المحمدية.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٧٠.

حكماً قيصرياً ولا كسروياً ينتقل بالوراثة، مضافاً الى ذلك ان فرض البيعة ليزيد على المسلمين كان جريمة كبرى ذات ابعاد اجتماعية وسياسية خطيرة تنتهي بتصفية الاسلام ومحوه[١].

نُظُم الحكم والإدارة في عهد معاوية

ونتناول الجانب الآخر من حكم معاوية ونقول بحيادية تامة انه استحدث بعض التغييرات وادخل نظم جديدة تتفق مع ظروف الدولة وطبيعة البلاد، فقد ألغى الكثير من المظاهر التقليدية التي كانت سائدة في الأمصار الاسلامية وأقام جهازاً حكومياً منظماً يتضح فيه النمط البيزنطي، حيث كان السلوك الشخصي لمعاوية ومظاهر الأُبهة التي حرص على التمسك بها واضحة نتيجةً لمجاورته الدولة البيزنطية لذلك أقام قصراً يقيم فيه أطلق عليه اسم (قصر الخضراء) وهو مجاور للمسجد الجامع في دمشق، واستحدث المأذنة كما استحدث (ديوان البريد) حرصاً على سرعة وصول الاخبار الى مركز الخلافة في دمشق، فتم تقسيم الطرق منازل يتم فيها استبدال الخيل للسرعة، وبذلك اصبح اداة هامة في ادارة شؤون الدولة[٢].

وأنشأ معاوية (ديوان الخاتم) وكان من أكبر دواوين الدولة ويقوم موظفوه بنسخ أوامر الخليفة وإيداعها بعد ان تحزم بخيط وتختم بخاتم صاحب هذا الديوان، كما هو الحال اليوم في قلم "الأرشيف" او السجلات. أما بالنسبة للإدارة المالية فقد عَهِدَ معاوية الى جماعة من اهل الذمة وهم (النصارى واليهود) ممن عُرفوا بكفاءتهم، وبذلك يكون معاوية اول من عين النصارى في مناصب الدولة.

وتحقق في عهد معاوية العديد من المشاريع الزراعية والإروائية في بلاد الشام والحجاز والعراق وتضاعفت عطايات الجُند نتيجةً لزيادة موارد الدولة الاسلامية، كما أنشأ معاوية البحرية الاسلامية منذ ان كان والياً على الشام، كما اهتم بترميم الحصون الساحلية في (عكا وصور) وأقيمت مراكز لصناعة السفن في كل من (صور وصيدا والاسكندرية) وبفضل الأسطول العربي الاسلامي تمكن المسلمون من فتح جزيرتي (قبرص وورودس)[٣].

وقامت سياسة معاوية في إدارته للأمصار الاسلامية على تعيين الولاة لمدة من الزمن ثم يعمل على عزلهم من اجل تثبيت دعائم خلافته. وكان من أشهر ولاته (مروان بن الحكم) الذي ولاه المدينة المنورة ومكة والطائف ثم عزله وولي (سعيد بن العاص) ثم عزله وولي (مروان بن الحكم) وهكذا كام يبدل احدهما بالآخر على ولاية المدينة المنورة، أما مصر فقد أعطاها طعمةً لـ

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٨٨.

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٨٣ .

(٣) ثابت اسماعيل الراوي ، الدولة الاموية ، ص١٢.